

## المنهج العلمي لمعرفة الله تعالى في نهج البلاغة

د. علي خضر ابراهيم العكيلي  
جامعة واسط - كلية التربية

م.م محسن وهيب عبد ناصر  
جامعة وارث / العتبة الحسينية المقدسة

### الملخص

دأب الامام علي عليه السلام في نصوص نهج البلاغة على تنزيهه لله ﷻ عن التشبيه والتجسيم في اسمائه وصفاته وفي معاني عرشه ، ولذا قسمنا البحث تحت هذا العنوان الى قسمين ؛  
القسم الاول : في المعاني العلمية للعرش لرفع شبه التجسيم والتشبيه عن الله سبحانه وتعالى .  
والقسم الثاني : في معاني التوحيد الخالص لله تعالى عند سيد الموحدين ، امير المؤمنين عليه السلام ، وفق نصوص من نهج البلاغة .

فأمير المؤمنين علي عليه السلام في خلوص عبوديته لله تعالى يعتبر قدوة ربانية وأسوة نبوية للموحدين العابدين الخالصين المخلصين لله تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا.

فقد جاء عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا عبادة بن زياد الأسدي ثنا عمرو بن ثابت عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن أبي الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) و سلم يقول :

(لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت في ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده الله بعلي ونصرته به ) (١).

التأييد للنبي صلى الله عليه واله بعلي عليه السلام ، هو ان يكون مصداقا لدعوة النبي ومثالا لنفاذ سنن الكون (العرش) في الخلق فيكون قدوة حية لتمام طاعة الله ورحمته وعدله الساعي الى حسن اللقاء بعد الموت مع ربه ، الكامل في طلب رضاه جل وعلا في الاخرة الصادق في عبوديته ، العالم والمعلم بماهية توحيده، الملتصق بطاعته الصابر على بلائه الدائم على الالتزام بأمره لمن اراد التأسي في سلوك السبيل الى رضا الله تعالى.

لمثل هذه المعرفة من نهج البلاغة اسسنا علاقة علمية بديهية بين السنن الكونية البديهية المقومة للفطرة وبين اصول الدين الاسلامي في منهج يقوم على كون اصول الدين هي اصول الفطرة طبقا لقوله تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢) على هذا الاتجاه يأتي بحثنا ومن الله التوفيق والسداد فهو الغاية ونعم المعين.

**Abstract**

Imam Ali( peace be upon him) in the texts of the Nahjul-Balagha preserved the knowledge of unity of Allah (Glorified and sublime be He) from anthropomorphism attributes and the meanings of the lord's power, so we divided this research into two parts:

**Section 1:**

In the scientific meanings of the throne to clearing the dubiousity of anthropomorphism and analogy of Almighty Allah.

Section 2: In the meanings of pure monotheism to Almighty Allah By Imam ALI the Master of the Monotheists, the Commander of the Faithful,(peace be upon him), according to the texts of the Nahjul-Balagha. Therefore, the Prince of the Believers,( peace be upon him), in his faithfulness of his bondage to Allah is considered as a role model and a prophetic example of the pure worshipers loyal to

Almighty Allah ((for whoever to remember or desires gratitude)) Al-Furqaan.62.

It was narrated from Muhammad Ibn Uthman Ibn Abi Shaybah by Abadah Ibn Zeyad AL-Sadi by Amro Ibn Thabet by Abi Hamzah AlThamali by Saeid Ibn Jubair by Abi ALhamraa The servant of The Prophet Mohammed (peace upon Him and His household) said: I heard the Messenger of Allah (peace and blessings of Allaah be upon him and his family) say: "When I was taken in the nocturnal journey to seventh heaven, I entered paradise and saw the throne of the Throne." "There is no god but Allah, Muhammad is the Messenger of God, supported by Ali and his victory".

The support for the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him and his family) is to be faithful to the Prophet's call and an example of the rule of the universe (the throne) in creation. It is a living role model to complete the obedience to God and His mercy and His justice to seek good companionship after death with His Lord. Sincere in his bondage, the Learned and the Scholar of what is monotheism , which is bound by his patient obedience to his constant weariness to abide by his order to those who want to dwell in the behavior of the path to the satisfaction of God.

For such knowledge of the Nahjul-Balagha, we established an intuitive scientific relationship between the cosmic ways inherent to the instinct and the fundamentals of the Islamic religion in a method based on the fact that the fundamentals of religion are the fundamentals of nature according to the Almighty: "So direct your face toward the religion, inclining to truth. (Adhere to ) the fitrah of Allah upon which He has created (all) people. No change should there be in the creation of Allah. That is the correct religion, but most of the people do not know". Ar-Room 30.

In this direction comes our search and we seek Allah's blessing.

مقدمة:

دأب الامام علي عليه السلام في نصوص نهج البلاغة على تنزيهه لله ﷻ عن التشبيه والتجسيم في اسمائه وصفاته وفي معاني عرشه ، ولذا قسمنا البحث تحت هذا العنوان الى قسمين ؛  
القسم الاول : في المعاني العلمية للعرش لرفع شبه التجسيم والتشبيه عن الله سبحانه وتعالى .  
والقسم الثاني : في معاني التوحيد الخالص لله تعالى عند سيد الموحدين ، امير المؤمنين عليه السلام ، وفق نصوص من نهج البلاغة .

فأمير المؤمنين علي عليه السلام في خلوص عبوديته لله تعالى يعتبر قدوة ربانية وأسوة نبوية للموحدين العابدين الخالصين لله تعالى لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا.  
فقد جاء عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا عبادة بن زياد الأسدي ثنا عمرو بن ثابت عن أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن أبي الحمراء خادم النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت رسول الله "صلى الله عليه واله" و سلم يقول :

"لما أسري بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت في ساق العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله أيده الله بعلي ونصرته به "٣".

التأييد للنبي صلى الله عليه واله بعلي عليه السلام ، هو ان يكون مصداقا لدعوة النبي ومثالا لنفاذ سنن الكون "العرش" في الخلق فيكون قدوة حية لتمام طاعة الله ورحمته وعدله الساعي الى حسن اللقاء بعد الموت مع ربه ، الكامل في طلب رضاه جل وعلا في الاخرة الصادق في عبوديته ، العالم والمعلم بماهية توحيده، الملتصق بطاعته الصابر على بلائه الدائم على الالتزام بأمره لمن اراد التأسي في سلوك السبيل الى رضا الله تعالى.

تمهيد

فعلي عليه السلام هو النموذج الميداني لمعاني الايمان والإسلام في الشهادتين ، الذي ايد الله به رسوله "صلى الله عليه واله" وهو مكتوب على العرش لأنه عليه السلام معنى كمال النفاذ لسنن العرش فهو الامام المبين والفروق الاعظم والصديق الاكبر . كما نستقي ذلك من سيرته التي تؤيدها اقواله في نهج البلاغة . ولذا وعلى ضوء هذا نحتاج مقدمة علمية بديهية لا ينالها الشك لنبلغ ما نريد بلوغه .

فالعرش هو سنن الكون النافذة الحاكمة المهيمنة المستطيلة المعبرة عن مشيئة الله تعالى في كونه وكنائنه ، وهو مخلوق وله بداية ونهاية:

" روي عن داود الرقي ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل : " و كان عرشه على الماء " . . . ، فقال : ما يقولون ؟ قلت : يقولون : إنه العرش على الماء ، و الربّ فوقه . فقال : كذبوا ، من زعم هذا فقد صير الله محمولا ، ووصفه بصفة المخلوق ، و لزمه أنّ الشيء الذي يحمله أقوى منه " ٤ " .  
و أما قوله تعالى : "الرحمن على العرش استوى" ٥ فهو من قبيل قول الشاعر : قد استوى بشر على العراق  
من غير سيف و دم مهراق " ٦ " .

في كون المراد بالاستواء على العرش: مجرد الاستيلاء و السلطة .

ومن نهج البلاغة قوله عليه السلام: " و إن الله سبحانه يعود بعد فناء الدّنيا وحده لا شيء معه . كما كان قبل ابتدائها ، كذلك يكون بعد فنائها . بلا وقت و لا مكان ، و لا حين و لا زمان . عدمت عند ذلك الآجال و الأوقات ، و زالت السّنون و السّاعات . فلا شيء إلاّ الله الواحد القّهّار ، الذي إليه مصير جميع الأمور . بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها ، و بغير امتناع منها كان فناؤها ... الخطبة " ٧ " .

فقوله عليه السلام : "قبل ابتدائها كذلك يكون " وحده لا شيء معه . " بعد فنائها " حتّى ملك الموت أيضا لا يبقى ، روى " الكافي " في نوادر جنائزه عن يعقوب الأحمر قال : دخلنا على الصادق عليه السلام نعرّيه بإسماعيل فترحم عليه ، ثم قال : إنّ الله عزّ و جلّ نعى إلى نبيّه صلى الله عليه و آله نفسه ، فقال : "إنّك ميّت و إنهم ميّتون " ، و قال عزّ و جلّ : "كلّ نفس ذائقة الموت " .

ثم انشأ يحدث فقال : إنّ يموت أهل الأرض حتّى لا يبقى أحد ، ثم يموت أهل السّماء حتّى لا يبقى أحد إلاّ ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكائيل . قال : فيجيء ملك الموت حتّى يقوم بين يدي الله ، فيقال له : من بقي ؟ و هو أعلم.

فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت و حملة العرش و جبرئيل و ميكايل .  
فيقال له : قل لجبرئيل و ميكايل فليموتا . . . فيقول : يا رب لم يبق إلا ملك الموت .  
فيقال له : مت يا ملك الموت ، فيموت . ثم يأخذ الأرض بيمينه و السماوات بيمينه ، و يقول : أين الذين كانوا يدعون معي شريكا ، أين الذين كانوا يجعلون معي إلها آخر ؟ "٨" "بلا وقت " من ليل أو نهار . " و لا مكان " أرض أو سماء " و لا حين و لا زمان " شهر أو سنة . " عدمت عند ذلك " أي فناء العالم . " الآجال " للأشياء . " و الأوقات " للأمور لعدم وجود شمس و قمر . " و الساعات " التي هي أجزاء الليل و النهار . " فلا شيء إلا الواحد القهار " . . . "يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ "٩" . سبحانه الذي إليه مصير جميع الأمور و تدبيرها . " بلا قدرة منها " الظرف الأول خبر كان قدّم لكونه مهماً في القصد ، و الظرف الثاني متعلّق بالأول . " كان ابتداء خلقها " كيف لا و لم تكن شيئاً حتى تكون ذات قدرة ؟ " و بغير امتناع منها " مثل سابقه في التركيب . " كان فناؤها "...."١٠".  
لمثل هذه المعرفة من نهج البلاغة اسسنا علاقة علمية بديهية بين السنن الكونية البديهية المقومة للفطرة وبين اصول الدين الاسلامي في منهج يقوم على كون اصول الدين هي اصول الفطرة طبقاً لقوله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" ١١

على هذا الاتجاه يأتي بحثنا ومن الله التوفيق والسداد فهو الغاية ونعم المعين.

٢- قراءة في كتاب الكون " قراءة في الفطرة":

يمتاز المحظوظون من الناس بالنظر الى الكائنات والظواهر الكونية والاستغراق في التفكير في هذا الكون العجيب العظيم الكبير ، والتأمل في أصله من اين اتى ، وكيف كان؟ والى اين يسير؟ وما هو مآله؟ والى اين ستصير كل هذه الكائنات؟ لماذا توجد ؟ لماذا نحى؟ ولماذا نموت؟ كيف يحكم هذا الكون الكبير بكل هذه الدقة؟ وهل هناك شيء يسبقه ؟ وهل هناك شيء بعد نهايته؟ وهل ان له نهاية؟ .. والمفاهيم الكونية الغامضة كالعدم والموت وسعة الكون والفضاء والزمان والمكان والخلق والحركة والسرّيات وتمدد الكون ، والحق والعدل والباطل والبلاء والايمان والغيب وظاهرة الرسل وعقائد السماء ما منشؤها ؟  
على ضوء هذه التساؤلات ؛ لو توجهنا الى الكون وجعلناه مادة لدراستنا وموضوعاً للتأمل والتفكير ، لوجدنا ان في كل حركاته مضمون جمالي لأن كل شيء في الكون يسعى للكمال فالحسن هدف لذاته في هذا الكون. وفي نظرة فاحصة للمخلوقات جميعاً في هذا الكون ؛ نجدها احد قسمين رئيسيين هما مخلوقات حاكمة ومخلوقات محكومة.

## ٢-٢- المخلوقات الحاكمة ؛

هي بمثابة سنن بديهيّة مستطيلة في الوجود والموجودات ، فهي مهيمنة عليها نافذة فيها ، ولها ميزات البداة والديمومة وعدم التغير والتبدل "١٢" والتداخل فيما بينها والاستحالة حسب النمط والسعي بالكائنات للكمال وهي بهذه الميزات ثمانية لا غيرها. ومما يجعلنا نقرر انها هي عرش الله تعالى لأنها ثمانية "١٣" بسيطة بديهيّة لا تتبدل ولا تتغير تحكم الكائنات ولا يفلت مخلوق من حاكميتها ونفاذها او هيمنتها فهي اذن ثمانية سنن كونية بديهيّة حسنة تستطيل في الكون والكائنات جميعا وغايتها بلوغ الاحسن لان نفوذها يعني السعي بالكائنات لبلوغ الكمال.

واذا عرفنا الجمال المضموني او الحسن بأنه ؛ عبارة عن كل حركة باتجاه الكمال ، فالحسن يتجلى في سريان الكون والكائنات باتجاه الكمال... ولذا فان المسرة والجاذبية التي يشعر بها المتأمل للكون هي جاذبية الجمال المضموني.

فما هي السنن الكونية الحسنة البديهيّة المهيمنة على الكون والكائنات؟

هي؛ المخلوقات الحاكمة : وهي السنن البديهيّة المهيمنة النافذة والحاكمة في الكون والكائنات والتي يمكن صياغة تعريفها من الواقع وكما يلي:

السنة الاولى تؤكد : ان كل الكائنات وكل الاشياء في الكون هي ظاهر لباطن الرحمة ، اي القوة الموجبة في الكون نسميها سنة الرحمة : وهي "علة الوجود" . ولا وجود على الاطلاق بدون الرحمة او القوة الموجبة ، فبديهيّة فيزيائية تقول لا ينجز فعل على الاطلاق بدون قوة موجبة. وليس الكون الا فعل والكائنات افعال.

السنة الثانية تؤكد : ان كل الكائنات قائمة بالحق . نسميها سنة الحق والعدل "وهي جوهر الوجود". والحق هو مواقع الصنق في الوجود والموجودات الذي نعرفه ونعرفه بالنسب الثابتة بين المعاني او المعاني والعلل او القوانين والنظم والنواميس. وليس الكون الا نظام ومجموعة قوانين ونواميس ، ولولا قيمومة الحق فلا وجود على الاطلاق.

السنة الثالثة تؤكد ان : كل الكائنات ؛ تعبير عن استجابتها لنظام وجودها، ونسميها سنة الطاعة، وهي "الوجه الباطن للوجود". ولولا طاعة الموجودات لنظام خلقها والكون لنظام كونه لما بقي موجود على الاطلاق.

السنة الرابعة تؤكد ان : كل الكائنات لوجودها اجل تستحيل او تموت بعده. وهي سنة تكامل الوجود "سنة الموت". فلا موجود على الاطلاق يمكن ان يفلت من الموت

السنة الخامسة: كل الكائنات في حالة حركة سريان نمطي للكمال "سنة السريان النمطي". لا يوجد كائن على الإطلاق لا يتحرك وفق نمط ، بل الكون كله بدأ بعلّة واحدة هي القوة الموجبة او الرحمة ويتجه الى غاية واحدة هي الكمال ويسري الى غاية واحدة هي الكمال

السنة السادسة: كل الكائنات لها ميزة حسن بها تميزت عن بقية الكائنات او ميزة كمال رفعتها عن بقية المخلوقات ومن اجلها وجدت فهي سنة الامامة.

فسنة الامامة تعني ميزة الكمال في كل كائن ولا يوجد كائن على الإطلاق ليس له ميزة كمال ، وهي واضحة وبديهية في كل موجود، ففي الكائنات الحية هناك ملكة للنمل وملكة للنحل وقائد للطير المهاجرة ورائد للأسماك المهاجرة ايضا... الخ ، وفي المجتمعات الانسانية لابد من رب للعائلة وشيخ للعشيرة وقائد للجيش ومدير للمديرية وملك للملكة ورئيس للدولة وزعيم للملّة... بل وفي ذات كل موجود امام لا معنى لوجوده الا بالإمام ؛ فالعقل امام بالإنسان ولا معنى لخلق الانسان بدون عقل ، كذلك الـ "DNA" امام في الحياة ولا معنى مطلقا للحياة بدون هذا الحامض النووي العملاق.

السنة السابعة: كل الكائنات استوت بوحدة العلة وهي الرحمة وسرت لوحدة الغاية وهي الكمال، وكلها محكومة من سنن واحدة وتتلبسها انماط خلقية واحدة وهي تعني مربوبية الوجود والموجودات لمشئته خالق رحيم واحد في نسق الوجود ولا يمكن لأي موجود ان يخرج عن النسق "سنة الوجدانية".

السنة الثامنة: كل الكائنات في حال تعارض في ما بينها بسبب حركة الانماط وسريان السنن الكونية النافذة ، وكل كائن موجود هو في حال بلاء "مبتلي او مبتلى به في آن" فهي سنة تجلي الحسن في الموجود ولا وجود بلا بلاء على الإطلاق ونسميها بسنة البلاء.

هذه هي السنن الكونية المستطيلة في الوجود والموجودات، وهي واضحة بدئية لا تغيب عن عقل العاقل، وربما يصعب الالتفات اليها لبدايتها، ومع هذا فلنا عود لبيانها بالتفصيل بعد ان نبين الجزء الثاني من الموجودات او الصنف الثاني من النسق الكوني.

## ٢-٣- الكائنات المحكومة "الانماط الستة للخلق الكائن":

بنظرة فاحصة للموجودات الكائنة نجد انها تتوزع على ستة انماط خلقية متميزة ، هذه الانماط هي المظروفات الزمانية المكانية التي تحتوي المخلوقات كلها في الكون وكل مظروف له ما يميزه من خصائص وقوانين وهي ستة فقط:

النمط الأول : هي والطاقة : وهي مخلوقات محسوسة ومدركة بتأثيراتها ، وهي اصل الوجود وأوسع مقدارا من بقية المخلوقات المحكومة ، وقد اكتشف الانسان في القرن الماضي قانونها الخاص الذي يحكمها

ويشخصها عن بقية الانماط الخلقية وهو قانون الكم " Quantum Law" اضافة الى حاكمية السنن الكونية فيها.

النمط الثاني: النمط الغامض من الوجود في الكون . مظهر زمني مكان خارج نطاق وجودنا الارضي لذا فان التعريف به غير واضح الا انه وجود متميز بالغموض والعتمة وليس لنا ما نشخص به ذلك الوجود وهو لا يهمنا هنا بقدر ما ان نعهده وجودا او نمط من الوجود تلفه العتمة لم تسبره التجربة ولم تصل له يد الانسان فحسب. الا اننا نستطيع ان نسميه الكتلة لأنها جوهره كما فهمه العلماء المختصون . وعلى كل حال فهو بالنسبة لدراستنا مجرد رقم في تعداد الانماط لأنه مرحلة تجاوزها الوجود بالسريان الى النمط الثالث وهو المادة.

النمط الثالث: المادة. وهي كل شيء يشغل حيز في الوجود وله كتلة. وكل الدراسات الفيزيائية الكلاسيكية والكيمياء جاءت على المادة وكل قوانين نيوتن والثرموديناميك اختصت بالمادة وشخصتها تماما في نمط وجودي مشخص افضل من اي نمط وجودي اخر وهي جزء مختار من الطاقة نظمت العلاقة بينهما بقانون اينشتاين: " الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء" وهذا القانون بات حقيقة مجربة بعد ان استطاع الانسان تفجير الذرة.

النمط الرابع: الحياة. وهي جزء مختار من المادة قام فيها نظام رفع القصور المادي الذاتي عنها وجعلها قادرة على الحركة والتغذي والتكاثر والنمو والموت.

النمط الخامس: العقل، والعقل هو اختيار تكاملي من الحياة حصل برفع القصور الحيوي الذاتي من الحياة ليقوم مخلوق قادر على الابداع واصابة الحق دون مع المحاولة وقدرة على السيطرة على غرائز الحياة وتوجيهها الى الكمال. فالعقل : هو محصلة قوى في نفس البشر تسيطر على الغرائز وتوجه الجوارح فيهم.

النمط السادس: النبوة" العصمة"، وهو اختيار من البشر ارتفع عنه القصورات المادية والحيوية والعقلية الذاتية وصارت قادرة على اختيار الحسن بمضامينه كلها وقدرة على اصابة الحق دون محاولة. وقد جاءت احاديث معصومة متواترة من ان عددهم محدود في حدود "١٢٤" الف نبى ورسول.

وعدا هذه الانماط لا يوجد كائن موجود خارج هذه الانماط او المظروفات الزمانية المكانية الستة. خلق السنن الكونية والانماط اجمله الله تعالى بقوله الحكيم "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ".

وتكرر هذا المعنى سبع مرات في الكتاب العزيز

٣- النسق الكوني لفعل وحركة الكون والكائنات :

عندما تقترن استطالة عدد محدود من السنن في الكون " ثمانى سنن " بعدد محدود من الانماط الوجودية " ستة انماط " ليسري الوجود كله ابتداء من علة واحدة وباتجاه غاية واحدة فان خيارات فعل الموجودات سوف تنحصر وفق نسق كوني واحد يعبر عن مشيئة الله تعالى ولا شيء يخرج عن تلك المشيئة إلا ان يكون نشاز لأنه شذوذ في مجموعة متسقة واحدة.

ان توضيح السنن الكونية ، يعتبر من اصعب الصعوبات لأنه كما يسمى ؛ توضيح للبديهيات ، لكن لابد من المحاولة لأنه موضع لم يتطرق اليه احد من قبل.

اولا- في السنة الاولى " الرحمة ": ما معنى ؛ ان كل المخلوقات ظاهر لباطن القوة الموجبة او الرحمة؟ بديهي ان كل كائن هو حادث والحادث هو فعل، ولا ينجز كل فعل الا بقوة، وكل القوى الكونية المنجزة للأفعال الكونية هي من صفات الرحمة : " كقوى الجذب والميل والألفة في المواد . والعاطفة في الاحياء ، والود والمحبة في العقول، ومحض الرحمة في النبوة " . ولو حلت قوى القسوة والتنافر بدل هذه القوى الكونية لما كان هناك وجود لكائن ما على الإطلاق.

اذن علة وجود الكائنات كلها هي الرحمة ؛ سنة نافذة في الوجود والموجودات لا غيرها.

ثانيا- في السنة الثانية " الحق " : ما معنى ؛ ان كل الكائنات قائمة بالحق؟

بديهي ان كل موجود له نظام حي . واستواء الموجود انما قائم بنظام خلقه ، وهذه القيمومة بذاتها ضمان لاستمرار وجود الكائنات، ومتى انتهت تلك القيمومة في نظام الخلقة لأي موجود ؛ خرب الموجود او تغير وانعدم الكائن او استحال.

فهناك النظام الكوني لقيام الكون ، والنظام الذري لقيام المادة في المواد وفي الاجرام السماوي في النظام الكوني ، ونظام الحامض النووي لقيام شفرة الحياة ، والنظام العقلي لقيام الانسان والمخلوقات العاقلة ، والوحي الروح من امر الله لقيام النبوة.

ونستطيع ان نحدد تلك القيمومة للنظم في الكائنات في العلاقات الفاعلة التي نسجلها بالنسب الثابتة بين المعاني في الاحكام العقلية او بين المعاني والعلل في دراسة الظواهر او بين السنن في القوانين او بينها مجتمعة في النواميس الكبرى .

فالحق: ندركه من معرفة نسب الصدق الثابت في واقع نظم الوجود والموجودات.

والعدل: هو ان تقوم العلائق بين المعاني والعلل والسنن والنواميس النافذة على اساس من نسب الحق في الواقع الذي يقوم به الكون كله والكائنات بأفرادها ، بمعنى ؛ ان من لا يعرف الحق لا يستطيع ان يجريه في مجراه من الواقع فلا يكون عادلا.

ثالثا - في السنة الثالثة " الطاعة": ما معنى ان وجود كل الكائنات هو تعبير عن استجابتها لنظام وجودها؟ الوجود حدث فهو فعل، واستمراره يحكي علة قيامه و قيمومة نظامه واستجابة الموجود لذلك النظام استجابة متواصلة من قبل الموجود للنظام القائم فيه.

رابعا- في السنة الرابعة " الموت": ما معنى؛ ان كل الكائنات لوجودها اجل تموت او تستحيل بعده؟ انها بديهية غاية في الوضوح، فنحن والكائنات موجودون لاجل محدود . ولا احد يحتاج الى ان يعلمه احد ان الموت سنة في الوجود. ولبعض الكائنات استحالة لوجود اخر بعد الاجل.

خامسا- في السنة الخامسة "السرّان": ما معنى؛ كل الكائنات في حالة سرّان نمطي باتجاه الكمال؟ فالسرّان واضح جدا من حركة الانماط الخلقية للكائنات ابتداء من: تحول الطاقة الى محض كتلة ، وتحول الكتلة الى مادة ، وتحول المادة الى حياة ، وتحول الحياة الى عقل ، وتحول العقل الى نبوة. لاشك هي مسيرة نمطية نحو التكامل والكمال.

فالطاقة مسبوقة بالعدم وبديهي ان الوجود افضل من العدم .

ومثله يكون الوجود الحي افضل من الوجود المادي الجامد.

- والوجود الحي العاقل افضل من الوجود الحي فقط.

- ووجود العقل الكامل في الرسول او النبي افضل من وجود العقل القاصر .

هكذا سرّان في الكليات وسرّان في الجزئيات مثله وفق انماط "١٥".

سادسا- في السنة السادسة " الامامة": ما معنى ان كل الكائنات لها من خلقها ميزة للكمال بها تميزت ولأجلها وجدت؟ ميزة الكمال هذه هي الامامة وهي قدر الامر الرباني "كن" الذي كانت به الكائنات . فلا يمكن لشيء ان يكون دون الامر الالهي كن باستوائه من عالم الخلق.

ففي كل ذات كائن ذاتيا او في صنفه او جنسه جوهر للكمال قائم فيه " قدر من الامر كن"، ولولا هذا الجوهر القائم فلا معنى للخلق . فمثلا ؛ الفوتون جوهر قيام طاقة الضوء ولا ضوء بدونه والنيوترون جوهر قيام الكتلة ولا كتلة بدونه ، والبروتون جوهر قيام المادة ولا مادة بدونه والحامض النووي الريبوزي "DNA" جوهر قيام الحياة ولا حياة بدونه ،والعقل هو جوهر قيام البشر ؛ ولولا العقل فلا معنى لخلق الناس مجانيين على الإطلاق. و الروح من امر الله جوهر النبوة فلا نبوة بلا وحي.

سابعاً- في السنة السابعة "الوحدانية" : ما معنى ان ؛ كل الكائنات استوت بوحدة العلة وسرت باتجاه غاية واحدة هي الكمال، وتميزت بوحدة قيمومة النظام ووحدة الثوابت ووحدة الانماط ووحدة السنن ؟ معناها انها مربوبة لرب واحد. فالوحدانية تعني المربوبية.

ان توحّد القوى الموجبة المنجزة للكائنات والكون بالرحمة فهي الصفة الوحيدة الموحدة الجامعة لجميع القوى الكونية المنجزة للظواهر والكائنات ، والسعي للكمال المطلق غاية حركتها، موحدة في الانماط الخلقية والسنن النافذة في المخلوقات وموحدة الثوابت والنظم. فالوحدانية ميزة تهيمن على الكون وتسيره.

ثامناً- في السنة الثامنة: "البلاء": ما معنى ان؛ كل الكائنات في حال تعارض في ما بينها بسبب حركة الانماط ودافع نفاذ السنن، وكل كائن موجود هو في حال بلاء " مبتلي او مبتلى به"؟

المتغيرات في حركة الانماط في الكائنات، كل نمط بطورين بسط وقبض يختلفان زمانا ومكانا، واذا اخذنا بالاعتبار العدد اللامحدود من الكائنات في انماطها واصنافها ، فهذا يعني ازدياد احتمالات التعارض الحتمي في حركة الكائنات من خلال سريان الانماط، اضعف الى ذلك حركة نفاذ السنن الحتمي في الكائنات فيكون كل كائن موجود عرضة لهذا التعارض الحتمي فهو مبتلي ومبتلى به في كل ان من انات وجوده.

اذن؛ فان عرش الرحمن ليس مسلة او كرسي او عريش ، كما يظنه الواهمون وتنقله تفاسيرهم ، انما هو سنن الله الحسنة النافذة في الكائنات ، والعرش الذي جاء في القرآن هو ثمانى سنن كونية حسنة قضاها الله تعالى وانفذها في كائناته : "وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ" ١٦.

تلك السنن الثماني النافذة في الوجود هي سنن بيان حسن الله تعالى في كائناته والتي تجري وفق النسق الكوني تعبيرا عن افعال الكون.

اذن؛ فالنسق الكوني لأفعال الكائنات يجري بستة انماط وتنفذ فيها ثمانى سنن بديهية ، ومن منطلق : "ان الحسن هدف لذاته في هذا الكون"؛ تسعى جميع الكائنات الى الاحسن ولا يسع لمنكر ان ينكر ذلك ، لأنه امر بديهي لا يعدمه عاقل. فالتطور بديهية الكون... والتطور : يعني الانتقال دوماً للأكمل فالكمال المطلق.

وعلى ضوء هذا نجد ان كل كائن موجود يحاط ببديهيات نافذة فيه تحكي سنة التطور هذه ، وان كل كائن انما يمثل قيمومة نظام وحركة صاعدة للأحسن ، فبديهياً؛ لا بد ان يكون لكل كائن موجود ما يلي :

لا بد ان يستجيب الكائن لنظام خلقه ، ليبقى وليستمر بالوجود ، فبطاعة الموجود لنظام وجوده؛ تم ظهور الموجود. فطاعة الموجود لله تعالى وجه اخر لمعنى الوجود ، " اي لا وجود لموجود بلا طاعة للموجد على الاطلاق".

لابد من قوة رحيمة تبني ذلك النظام وتقومه ويستمر بها انجاز الموجود ، وهي الرحمة. فالرحمة القوة المنجزة للموجودات وعلة قيمومة النظم في الكائنات.

لابد ان تكون في النظام ركائز ثبات صادقة كأسس يقوم عليها الواقع ويستمر بها ومعها وجود الموجود ، وهو الحق والعدل.

والقيمومة : هي قوة فعالية وحياة وذكاء النظام القائم في الوجود وبقائه واستمراره باتجاه الكمال.

لابد ان يكون هناك اجل لنهاية ذلك الموجود ، للتواصل مع الحسن غاية الكون سريانا للأحسن وفق حركة الكون الكلية ، وهو الموت.

لابد ان يكون هناك معناً حسناً لذلك الوجود استحق به الوجود والاستمرار ، وبدون ذلك المعنى الحسن في الخلقة لا معنى لوجود تلك الخلقة على الاطلاق؛ وهي الامامة.

لابد ان يظهر ذلك الموجود جزئياته من النسق الكوني الواحد الساري بحركته نحو المحسن المطلق ، بالتوحيد وأثار الوجدانية.

لابد له من ذاته ما يبرز الحسن الكوني ، ويستمر يتجدد في تجلي ذلك الحسن ، وهو تعارض الوجودات بالبلاء.

لابد ان يظهر الموجود سريانا دائما نحو الاحسن بحركة نمطية مستمرة دائبة. وهو السريان.

٤- المعرفة : هي تطابق انماط الخلق او تعارضها في نفس الانسان.

المعرفة ومنها الدين عند البشر ؛ يأتي من وجود انماط محدودة للتعلم في النفس البشرية ، مقابل سنن كونية مهيمنة نافذة محدودة مساوية ومماثلة لتلك الانماط في الكون.. فالنفس الانسانية التي هي فطرة من اصل الكون تضم كل انماط الكون، فاذا توجهت افعال النفس الانسانية بتطابق مع هيمنة تلك السنن الكونية و لصالح نفاذها فهو عمل حسن وصالح والبشر الفاعل محسن وصالح ، وما لم يتطابق ما يصدر عن الانسان مع السنن الكونية فهو قبيح وسيئ ، والفاعل مسيء ومذنب.

لان تطابق فعل النفس وما يصدر عنها مع النسق الكوني " الفطرة" يعني تطابقها مع مشيئة الله والعكس صحيح ، وهذا هو فحوى الدين القيم ؛ في قوله تعالى:

"قَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" ١٧.

فالدين ما جعله الله تعالى قيما على النفوس موجها لها وهذا يعني ان الدين خلق قائم فاعل في كل نفس فهو فطرته فالقيم قائم بأمر الله تعالى على كل نفس؛ والنفس هي فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.. قال الله تعالى : " أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ "١٨".

وهنا ندرك جزء من تفسير قوله تعالى: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ"١٩".

#### ٥- استichالات السنن الكونية في الانماط

تستحيل السنن الكونية في انماط الخلق الى خصائص خلقية متطورة في الكمال لتتناسب تلك الأنماط لكنها تحتفظ بخصائصها العامة وميزاتها الاساسية: فالطاعة تستحيل في المادة بعد الامر بكونها الى صفة الاستمرارية" قصور ذاتي"، وصفة كتلة ، وصفة لا انتظام.

وفي كون الحياة تسحيل الطاعة الى غرائز . وتستحيل الطاعة في الانسان الى عقل تكويني وفي النبوة تستحيل الى عصمة ليتحقق التطابق التام بين خيار النبي والنيق الكوني.

وهذه الاستichالات تحافظ على معاني الاستجابة لنظام الوجود الذي عرفنا به الطاعة مع تغير الانماط . فالاستمرارية معنى للبقاء الذي استichالة في الغرائز الحياتية الى حب البقاء، والكتلة الى حيازة الاشياء في غريزة حب التملك اما ميزة اللاننتظام فاستichالت الى غريزة العبث واللعب.

وهكذا نلاحظ بقية استichالات السنن الكونية : فالرحمة قوى كونية في المواد وتستحيل الى عاطفة في الاحياء وتستحيل الى محبة وود وعشق في الانسان وتستحيل الى محض رحمة في الانبياء، "وما ارسلناك الا رحمة للعالمين".

وكذا سنة الحق والعدل: تستحيل في المادة الى قيمومة نظام، وتستحيل في الاحياء الى خصائص ومميزات الحياة وتستحيل في العقل الى ارادة للحق وسعي لتطبيق العدل ، وتستحيل في الانبياء الى محض عدل." لا ينال عهدي الظالمين"

وكذا سنة الموت تستحيل في المادة الى الفناء او التلاشي، وفي الاحياء الرجوع الى مادة، وفي الناس الاستichالة الى عالم اخر يحتمل الخسران والخلود، في العقاب او الثواب وفي النبوة الانتقال الى الخلود.

وكذا سنة البلاء: تستحيل في المواد الى تفاعلات كيميائية، وفي الاحياء الى تفاعلات حيوية، وفي البشر الى امتحانات راتبة واخرى ثابتة وفي النبوة الى تسحيل الى امتحانات تكاملية تعده ليكون حجة على من بعث لهم منذرا ومبشرا.

جدول استحداث السنن الكونية طبقا للنسق الكوني:

إستحداث السنة الكونية بالسريان النمطي				السنة الكونية
النمط	المادة	الحياة	العقل	النبوة
الطاعة	مميزات المادة: القصور الذاتي والاستمرارية والكتلة والانتروبي	الغرائز: الملك وحب التملك البقاء وحب الخلود، والعبث	العقل التكويني: ارادات الروح او انماط التعلم	التطابق مع النسق الكوني
الرحمة	القوى الكونية الموجبة	العاطفة	الود والحب والالفة	محض الرحمة
العدل والحق	قيومية نظام المادة بالنسب الثابتة	قيومية مميزات الحياة	ارادة للحق وسعي لتطبيق العدل	محض العدل
الموت	الفناء والتلاشي	التحول الى مادة	التحول الى حياة اخرى اما خلود او خسران	الخلود في نعيم الاخرى
البلاء	التفاعلات الكيميائية	تفاعلات حيوية	امتحانات ثابتة + امتحانات مرتبة (*)	امتحانات ثابتة + امتحانات مرتبة (*)

٦ - اصول الدين في عقائده الاساسية هي السنن الكونية البديهية:

ان من كمال الدين الاسلامي انه يمنحنا القاعدة او الاصل في الاعتقاد ، فنجد في واقع الكون مصداقا لها. فاصول الدين في الواقع هي صدق لواقعية حاكمة السنن الكونية في الانسان وكل اصول العقائد في الاسلام هي مميزات الفطرة في الكيان الانساني ، ولذا فان السنن الكونية التي تحدثنا عن نفوذها واستطالتها وهيمنتها في الموجودات تستحيل في خلق الانسان الى فطرة ، وهي كما يلي:

١ - الوجدانية: هي في الواقع وكما بينا علميا تعبير عن مربوبية الكائنات لخالق واحد ، لماذا ؟ ذلك ان كل الكائنات في هذا الكون تتميز : بوحدة الانماط الخلقية ، ووحدة السنن النافذة فيها ، ووحدة الثوابت الكونية المتحركة في نواميسها وفي مبدأ العلة الواحدة هي الرحمة والسعي الى هدف اوجد لا غيره هو الكمال المطلق سبحانه وتعالى .. فالوجدانية اصل من اصول الدين الاسلامي.

وفي هذا نجد النص السماوي يتطابق مع الواقع تماما ؛ فان هناك ستة انماط ثابتة او ستة مظروفات زمكانية موحدة تحتوي كل الكائنات لا غير وهي كما بينا اشارة الى ايام الخلق الستة في القرآن الكريم ، وهي محكومة من عرش واحد ذي ثماني سنن متداخلة ، موحدة نافذة فيها لا غير ، وهنا ايضا تطابق تام بين الواقع الكوني و النص السماوي لنافذ عرش الله تعالى ؛ و كما تشير الآية "وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" ٢٠ "والله تعالى اعلم. وخلق السموات والارض يقرن دوما في القرآن بخلق العرش حيثما ورد في القرآن الكريم: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ٢١ .

وقوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ٢٢ .

وقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ٢٣ .

وقوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا" ٢٤ .

وقوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ٢٥ .

وقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ٢٦ .

وربوبية الكائنات واضحة في طاعتها لقيمومة الحق في ذاتها المتمثلة في نظام الكون حيث الطاعة؛ هي استجابة الكائن لنظام كونه.

قال الصادق عليه السلام ؛ " العبودية جوهره كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية و ما خفى من الربوبية اصيب في العبودية" ٢٧ .

وهناك في الفطرة ارقام موحدة ومقدرة بدقة وذكاء مطلق تسير بها النواميس الكونية يسمونها الثوابت الكونية ، الحقنا بعضا منها في نهاية البحث.

وهنا نجد تطابقا تاما بين السنة الكونية وواقع الوجود.

فالوحدانية سنة كونية نافذة تحكم الموجودات كلها. والإيمان بها اصل من اصول الدين. فالدين يمنحنا القاعدة وواقع الكون مصداقا لها.

٢- الحق و العدل: كل كائن موجود انما قائم بالحق ويسري بالعدل. وكما بينا ذلك بالتفصيل في سابق البحث.

فالحق : هو مواقع الصدق القائمة ضمن نظام حي قائم ودائم في كيان الموجود ، تلك المواقع التي نعرّفها ونعبر عنها كنسب وتتاسب بين المعاني كحقائق ، او بين المعاني والعلل كمتلازمات او نطرحها بشكل قوانين وقوانين مركبة او مشتقة، تتطابق مع واقع ما يجري في الكون ، اما العدل فهو سريان الموجود قائما باقيا طبقا لتلك النسب الثابتة القائمة كحقائق او قوانين او دساتير كنظام قائم في كيانها.

فالحق معرفة الصدق الثابت في واقع الكون بما هو حقائق او قوانين او نواميس او سنن تطابق نظام الكون، والعدل هو كل فعل يطابق معنى الحق هذا.

اذن الحق معرفة والعدل خيار الفعل مطابقاً لتلك المعرفة .. قال تعالى في ذلك: "وَمِنْ قَوْمٍ مُّؤَسَّى أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" ٢٨ .

وقال تعالى: "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" ٢٩

زعمنى هذا ان الذي لا يعرف الحق لا يمكن ان يكون عادلاً. ولذا فان اختيار اصول الدين كان مبنياً على الحق وصار العدل اصلاً من اصول الدين، فالعدل والحق سنة كونية ، والايمان بهما اصل من اصول الدين.

نتيجة: ان الدين في اصوله الاساسية هو الفطرة التي فطر الناس عليها.

#### ٧ - معرفة الله ليس كبقية المعارف:

تختلف المساعي لمعرفة الله تعالى عن المساعي لتحصيل باقي المعارف اختلافاً جذرياً؛ ذلك لأن الذي يسعى لمعرفة شيء، إنما يجعله موضوع دراسة يتوصل منها إلى الحقائق المتعلقة بذلك الشيء، أما الذي يسعى لمعرفة الله تعالى، وهو الحق المحيط بكل حقيقة وبكل شيء، فهل يستطيع أن يجعله موضوع دراسة، وإذا جعله موضوع دراسة فإلى أي شيء يريد أن يصل بعد الحق المحيط؟! وإلى أية نتيجة يريد أن يتوصل؟! إن الله سبحانه وتعالى يقول:

"ذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال؟" ٣٠

ولهذا، فإن أمير المؤمنين " عليه السلام " غضب حينما سأله السائل أن يصف له الله حتى كأنه يراه عياناً "٣١".

فغاية كل علم هو بلوغ حقائقه، أي الإحاطة بثوابت الصدق من معاني وجوده؛ وهي جزئيات الحق الذي تبقى الإحاطة به بعيدة المنال، حيث لا يوجد سبيل علمي إلى الله تعالى من خلال أنماط التعلم في التكوين النفسي للإنسان، كالتسليم والتعليل والتصديق والتفاضل والتكامل والتعميم والاستقراء والاستنتاج... الخ.

بل السبيل إلى معرفة الله تعالى تبدأ من نفس الإنسان وقلبه، أي عكس معرفة الأشياء، حيث تبدأ في خارج النفس ومحيطها، ثم بعد المعرفة تصير حقائق تنطوي عليها النفس في داخلها.

ولقد رسم أمير المؤمنين لنا معلماً واضحاً في هذا الاتجاه من المعرفة الذي يبدأ بتطهير النفس بحب الله تعالى، بحيث يمكن القول وبيقين أن معرفة الله تعالى في قلب أي آدمي إنما تساوي بمقدارها، مقدار حبه لله تعالى، فالذي يمتلك حب الله تعالى بصدق ويمتلئ قلبه به دون أي حب آخر، يكون قد امتلك العلم كله،

وكان هذا نهج كل الأنبياء والعارفين، وقد بينه القرآن العظيم في قصة سيد الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام".

فقد كان قلب الخليل مفعماً بالحب لربه، مما دفعه لسلوك سبل المعرفة الفطرية في أنماط التعلم فجرب السبل من فكره وذاكرته في النظر إلى النجوم، فلما رآها تأفل، علم أنها ليست بمكانة المحبوب الفاطر الذي لا يأفل ولا يتغير، فوجه وجهه إليه: "وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين" (٣٢).

فقد امتلأ قلب إبراهيم عليه السلام "بصدق بحب الله تعالى فأراه الله حقيقة ملكوت السموات والأرض فكان من الموقنين، وصار بذلك يحاج قومه بما امتلك ويقول:

"أتحاجوني في الله وقد هداي ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون، وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون، الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" (٣٣).

فقد كان إبراهيم عليه السلام " ذا قلب سليم وفطرة نقية، ولكنه حين رأى من ذاته لذاته أنه كلما وجه وجهه لشيء يظن أنه ربه، يجد أنه فقير بذاته محتاج لغيره لأنه يأفل وهو " عليه السلام " قد امتلأ قلبه السليم بحب الغني الفاطر الذي لا يصيبه الأفل، لذا فهو لا يحب الآفلين، فهي مخلوقات من أمثاله، مما جعله " عليه السلام " يلتفت إلى أنه إنما يبحث عن الذي ليس كمثله شيء، أي يبحث عن علة البحث عنده، بل علة كل شيء موجود مثله، فوجه " عليه السلام " وجهه إليه سبحانه وتعالى: "إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين".

إذن فإبراهيم عليه السلام " أحب الله تعالى ربه وامتلاً قلبه بهذا الحب، فلا وجود لغيره معه في قلبه؛ فهو " عليه السلام " بدأ بالحق الذي بدأ به الوجود كله ويقوم عليه ويستمر معه، إنه " عليه السلام " امتلك الحقيقة التي تشع منها كل العلوم.

ولذا فإن الذي يظن أنه يعرف الله تعالى بعلم يعلمه، إنما هو جاهل متجرئ.. ولهذا غضب الإمام من السائل الذي يريد وصف الله وصف معانية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لأن هذا السائل ألبس جهله بسؤاله هذا ثوب العلم حين ظن واهماً أن الله تعالى يمكن وصفه من قبل عالم عظيم كعلي بن أبي طالب " عليه السلام "

... وفي غضبه " عليه السلام " إظهار لجدية عبوديته لله تعالى؛ حيث فيه بيان لقبح الجراً على التفكير في وصف الله تعالى، فإنه سبحانه وتعالى الجلي الذي لا يتجلى، الذي يدرك الأبصار ولا تدرکه الأبصار.

#### ٨- المعاني العلمية للجلاء والتجلي

يقول الإمام علي " عليه السلام ": " الحمد لله المعروف من غير رؤية " ٣٤.

ويقول في خطبة أخرى: " لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته " ٣٥.

ويقول " عليه السلام " في خطبة ثالثة في معنى كون الله جل وعلا جلياً دون تجلي: " الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تتكره، ولا قلب من أثبتته ببصره، سبق في العلو فلا شيء أعلى منه، وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه، فلا استعلاؤه بآعده عن شيء من خلقه، ولا قربه ساواهم في المكان به " ٣٦.

هذا التوجيه من لدن أمير المؤمنين " عليه السلام " يجعل التعرف إلى الله سبيلاً لا بد منه، في حين يمنع سبيل التعرف عليه، وهنا لا بد من التفريق بين التجلي والجلاء من وجهة نظر علمية صرفة.

#### الجلاء: "Consistent"

هو الوضوح، والوضوح هو نتيجة لتمام الإدراك، والإدراك هو انطباق السنة التكوينية للنفس مع السنة الكونية في موضوعها " ٣٧.

والسنن التكوينية تبرز لنا في ثمانية أنماط للتعليم نرى النفس تمارسها في التعلم، أما السنن الكونية فتعرف في ثمانية بديهيات معروفة هي:

كون النفس الإنسانية تميل للحسن والجمال، وكون الرحمة ومظاهرها علة أماً في كل حادث وكون الموت سنة لا بد منها، وكون الحق والعدل أساس كل خلق، وكون الإمامة معنى الحسن في كل خلق، وكون البلاء ناموس الخلق، وكون كل الموجودات مربية لله تعالى الواحد، وكون التطور للأحسن دافعاً لكل الموجودات.

أما أنماط التعلم التي تبرز في النفس محاكية لمواضيع السنن الكونية فهي:

- نمط التسليم، ويبدو في تسليم النفس بثوابت الأسماء مقابل معانيها في الواقع.

- ونمط التعليل، ويبرز في بحث النفس عن العلل والأسباب، فعلة مقابل كل حادث.

- ونمط التصديق، وهو واضح في بحث النفس عن العدل والحق، وهما مواقع الصدق الثابت في الواقع.

- ونمط القياس؛ وهو يتوضح دوماً في سعي النفس للمفاضلة بين الحسن والأحسن وبين القبيح والأقبح من خلال المطابقة لمعايير ثابتة من أصل ثوابت الأسماء لمعانيها وثوابت العلل لمعلولاتها بثوابت مواقع العدل والصدق في الواقع.

- ونمط التعميم، الذي يبرز في ميل النفس للتوحيد والتوحد، وكما هو واضح في واقع الناس اليوم وعلومهم.
- ونمط التكامل ويبرز في انجذاب النفس للحسن والأحسن والأجمل، وهو واضح عند الجميع بدون استثناء، ويكون أوضح في النفس الراقية في قيمها الإنسانية.
- ونمط الإيمان؛ ويبرز في ميل النفس للاستعداد لما بعد الموت الذي لا بد منه.
- ونمط التجريب، ويبرز في ميل النفس للتجريب والملاحظة والممارسة والتطبيق للقوانين المعروفة.
- ونلاحظ بوضوح أن كل سنة تكوينية في نفس الإنسان، إنما تبرز بسبب التكوين الإنساني الذي يضم في خلقه كل مكونات الكون، وهي المادة والطاقة والحياة ومميزاتها والروح ومميزاتها الظاهرة للعقل.
- فنمط التسليم في النفس وليد سنة الطاعة الكونية، حيث كل ما في الكون حادث مربوب لرب واحد مدبر حكيم قوي متين... له الصفات الحسنى؛ فكل ما في الكون طائع مسبح لله تعالى.
- ونمط التعليل في النفس وليد سنة الرحمة الواسعة، حيث كل ما في الكون حادث معلول في حدوثه لمظاهر رحمة الله الواسعة في المحبة والألفة، والعاطفة الأبوية أو الود...
- ونمط التصديق في النفس وليد سنة الحق والعدل الكونية، حيث كل ما في الكون بدأ بالحق ويقوم بالعدل ويستمر معهما.
- ونمط القياس في النفس وليد سنة الإمامة الكونية، حيث كل ما في الكون له من ذاته لذاته إمام، ولا بد له من صنفه لصنفه إمام، يبدو به حسن تلك الذات أو ذلك الصنف، إذ بدون الإمام لا معنى جميل لخلق تلك الذات أو ذلك الصنف.
- ونمط التجريب في النفس هو وليد سنة البلاء الكونية حيث كل ما في الكون هو بذاته بلاء ومبتلى بغيره في آن واحد.
- ونمط التعميم في النفس وليد سنة التوحيد الكونية، حيث كل ما في الكون مترابط بوحدة الثابت ووحدة الشروط، فهو مربوب لقوة واحدة هي قوة الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد.
- ونمط الإيمان في النفس وليد سنة الموت الكونية التي لا يفلت منها كائن مادي أو حي أو عاقل لا في الأرض ولا في السموات.
- ونمط التكامل في النفس وليد سنة التطور للأحسن، حيث كل ما في الكون يسير للأحسن وينجذب إليه ويسر ويتجهج لوجوده.
- الجلاء والتجلي:

فالجلاء: إذن؛ هو الوضوح، وهو عند كل نفس يكون بمقدار مطابقة نسبتها التكوينية مع السنة الكونية الأم التي ولدتها، ما دامت تلك النفس ساعية إليها، لذا فالوضوح جزئي وكلّي يبرز من تلك المطابقة وبقدرها، وعليه فإن كل معنى له حيز في نفس الإنسان قد يكون جزئياً وقد يكون كلياً طبقاً لمعاني الوضوح. أما التجلي: فهو إحاطة الحواس الخمس بالموجود، أحداها أو كلها.. ولذا فإن التجلي غير ممكن إلا مع الشروط التالية:

- ١- كون الموجود في حدود قدرة الحاسة على الإحاطة به، ذلك لأن كل حاسة لها حدود، ولا يمكنها الإحساس بالموجود إلا من خلال تلك الحدود، فإذا كان الموجود خارج تلك الحدود فلا تجلي. أمثلة ذلك: حدود البصر في حدود الضوء المرئي - Visible light الذي يقع بين "٧٥٠٠-٤٠٠٠" انكسروم لطول موجته، أما خارج هذه الحدود فلا رؤيا ولا تجلي لأي موجود للباصرة "٣٨". أما حدود السمع؛ فتقع ما بين "٢٠-٢٠٠٠" ذبذبة - ثانية فالأجسام المصوتة أقل من هذه الحدود أو أكبر فلا تجلي لأي موجود منها للسامعة "٣٩".
- أما حاسة الذوق؛ فتعتمد على إمكان اللعاب في إذابة المادة المتذوقة إلى شوارد "أيونات" تؤثر على النهايات العصبية الحسية، وإلا فلا تجلي للذوق.
- كذلك حدود الشم فتعتمد على إمكان المخاط من إذابة الغازات المحيطة به وإلا ففي حال الرش يقل الشم أو ينعدم فلا تجلي.
- ويبدو هنا أن حاستي السمع والبصر فيزيائيتان لاعتمادهما الضوء والصوت أما حاستا الذوق والشم، فكيماويتان، لاعتمادهما في التفاعل في أوساط مائعة على نهايات العصب الحسي حيث يتم نقل حاصل التفاعلات إلى الفصوص الحسية في الدماغ حيث يتم بعدها التجلي.
- أما حاسة اللمس، فحدودها تجاوز المحسوس في درجة حرارته، حرارة اللامسة وقدرته في تغيير واقع بناء اللمس، وفيما عدا ذلك لا تجلي.
- ٢- كون الحواس سليمة، فإن فقدت الحاسة، أو أصيبت بعلّة فإن النفس تفقد إحدى نوافذها لتجلي الموجودات من حولها.. وفي حالة مرض الحاسة قد يحصل خلل في استجلاء الأشياء كمرض العين بالانحراف، الذي يفقدها تجلي الخطوط الطولية دون العرضية في المربعات.
- ٣- أن يكون المتجلي حاضراً في وسط التجلي: حتى في فرض وقوع الموجود في حدود الحس للحاسة، وفي شرط سلامة الحاسة، فلا بد أن يقع المتجلي في وسط التجلي كي يحصل التجلي.

مثال ذلك لتجلي الموجود في الباصرة، لا بد من الضوء المرئي؛ إذ مع الباصرة السليمة ووجود الشيء فإنه لا يمكن رؤيته في الظلام فلا تجلي.

مثال ذلك أيضاً: لتجلي الموجود المصوت في السامعة، لا بد من وجود الوسط الناقل كالهواء مثلاً ففي الفراغ لا يتجلي الجسم المصوت.

مثال ذلك أيضاً: لتجلي الموجودات المشبوبة كالعطور أو المتذوقة لا بد من وجود السائل المؤين كاللعاب أو المخاط.

مثال ذلك أيضاً: لتجلي الموجودات ذات الطاقة الحركية أو الكامنة، أو الحرارية لا بد من وجود وسط ناقل، وإلا فلا تجلي للامسة.

٤- أن تكون النفس منتبهة ومتوجهة للكائن الذي تطلب تجليه، فحتى إن توفرت كل شروط التجلي دون أن تكون النفس متوجهة ومنتبهة لما تريد فإنه لا تجلي.

فمثلاً؛ قد تدخل مكاناً ما وتخرج منه دون أن تنتبه لوجود شيء فلا يتجلي لك، بعكس ما لو كنت تبحث عن شيء ونقصه فأنت منتبه له، فإنه إن كان موجوداً تجلى لك.

٥- ملائمة البيئة والحدود والنظام لتجلي الموجود على حقيقته، فقد تخدع الحواس بالبيئة المصطنعة فلا يتم التجلي، وقد يكون للبيئة حدود تمنع تجلي الموجود مع وجوده بشروط التجلي.

وهذا ما نراه في مظاهر التمويه التي تبرزها بعض الكائنات في الطبيعة كحالة دفاع غريزية والذي يمنع غالباً من تجليها، أو نراه في ما يمارسه القانون الكوني في خفاء بعض الموجودات، كالحرارة الشديدة، أو الجاذبية الشديدة أو البرودة الشديدة، أو اللون الواحد "monocoulor" في حدود مسيطرة، والذي يبدو فيما يستعمله تجار الأقمشة في وضع مصابيح أحادية اللون في متاجرهم؛ حيث لا يتجلي اللون الحقيقي للقماش في اللون المسيطر الأحادي.

والآن فإن بين الجلاء والتجلي في معرفة الله تعالى معاني لا بد أن يدركها الإنسان ليعلم مقدار القبح الذي أغضب أمير المؤمنين " عليه السلام " في تطلع النفس لوصف الله تعالى وكأنها تراه.

٩- موانع تجلي الله تعالى "موجبات عدم التجلي"

إن من موانع تجلي الله تعالى ، وحدانيته الصمدية، ثم إحاطته وسعته سبحانه ثم هيمنته واستطالته، ثم استدامته وثباته، فالله سبحانه وتعالى جلي ولا يتجلي لأنه كما يقول الإمام علي " عليه السلام ": "واحد لا بعدد".

الوحدانية:

تفرد الله سبحانه وتعالى بالوحدانية، الجلية بوحدة خلقه، المتميزة بوحدة الثوابت والشروط النافذة في كون خلقه، المميزة بإدراك أن وحدانيته هي الوجود كله، وكل وحدانية دون وحدانية الله تعالى قلة؛ يقول الإمام علي " عليه السلام" في هذا المعنى:

"الحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً، ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً، كل مسمى بالوحدة غيره قليل... "٤٠".

ذلك معناه أن الواحد كما هو في نمط تعلمنا هو عكس نمط معرفة الله التي أشرنا إليها؛ في معرفتنا أن الواحد هو أقل العدد ومبتداه.. ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروماً من المعين كان محتقراً لضعفه ساقطاً لقلته، أما الوحدانية لله تعالى فتعني:

أ- الصمدية: الامتناع على التجزئة والتركيب.

ب- الاستطالة: الهيمنة بالسلطان والقوة والعظمة.

ج- الثبات: لم يسبق له حالٌ حالاً - كما يقول أمير المؤمنين " عليه السلام".

٤- الاستدامة: "الديمومة".

٥- الإحاطة: الاحتواء الحكيم لكبره اللامحدود.

"سأل ذعلب اليماني أمير المؤمنين " عليه السلام": هل رأيت ربك؟ فقال " عليه السلام": أفأعبدُ ما لا أرى؟! فقال ذعلب: وكيف تراه؟!".

فقال " عليه السلام": لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلم لا برؤية، مريد لا بهمة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالركة، تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته "٤١".

قدمنا قول أمير المؤمنين " عليه السلام" هذا تقويماً لما سيأتي من بيان عن معاني التجلي والجلاء بما يوافق " لا تراه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان"، فهو جل وعلا جلي لا يتجلى.. من هنا نبدأ مسيرة البحث في موجبات عدم التجلي التي هي انعكاس لمعاني وحدانيته:

١- الوجدانية في الصمدية:

قال أمير المؤمنين " عليه السلام":

"ما وحده من كیفه، ولا حقیقته أصاب من مثله، ولا إياه عنى من شبهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه" "٤٢"... ومعنى "ولا صمده" من أشار إليه وتوهمه أي من تصوره على ذات هيئة عند الإشارة إليه، توهماً، إذ مع تصوره في تلك الهيئة، حيث أشار إليه، يكون قد ركبه أو جزأه، وهو ما يتنافى مع معاني الصمدية في الوجدانية التي تمتنع على التجزئة مثلما تمتنع على التركيب.

وهذا ما يتوضح في قوله " عليه السلام" في خطبة أخرى لبيان معاني التوحيد: "كمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده..." "٤٣".

ففي هذا الحديث توضيح لمعنى الإشارة في حديثه الأول " عليه السلام"، فالصمدية هي الامتناع على التعدد في التجزئة أو في التركيب على حد سواء.

هذا لأن أساس الإحساس أصلاً يعتمد التعدد والتغير، وحين لا تعدد ولا تغير في تركيب أو تجزئة فلا إحساس؛ كيف إذن يحيط الإحساس بالقاصر بالله تعالى الصمد!!.

من أجل البيان نأخذ الأمثلة التالية من واقع الأشياء في تجليها وعدمه مع أنها مادية، فالموجود بمقدار ما يكون مركباً يكون الإحساس به سهلاً، وكلما كان بسيطاً يكون الإحساس به صعباً.

مثال ذلك وجود القوة، فالقوة موجودة لا ينكرها أحد، إلا أن تجليها بذاتها صعب جداً، وإنما نحن نحسها من خلال أثرها في إزاحة الأشياء، ولولا الإزاحة فلا إحساس ولا تجلي للقوة بذاتها وإن وجدت، كأن تضغط على حائط دون إزاحته.

مثال آخر الحركة، فالحركة موجودة كطاقة لا ينكرها أحد، إلا أن تجليها بذاتها صعب جداً، وإنما نحن نحسها فقط من خلال الأجسام المتحركة، ولولا هذه الأجسام فلا إحساس ولا تجلي للحركة بذاتها وإن وجدت، كأن تضع جسماً على مرتفع، فإن فيه حركة كامنة لا تبدو إلا عند سقوطه.

فالقوة والحركة موجودان بسيطان، يمكن تجليهما للإحساس بذاتهما إنما من خلال آثارهما، فنحن لا ندرك الحركة إنما ندرك المتحرك، وكذا لا ندرك القوة بل نرى الإزاحة... فكيف بالواحد الصمد، كيف يمكن أن يتجلى؟! ونحن الذين يصعب علينا استجلاء الحركة بذاتها أو القوة بذاتها فكيف نطلب بأوهامنا تجلي خالق القوة ومبدع الحركة؟!.

إن فنحن نستجلي بحواسنا الموجود البسيط بصعوبة، ومن خلال آثاره ندركه بعقولنا، وكلما كان في بساطة الموجود كمال ويقترّب من الصمدية كلما كان الإحساس به صعباً ويقترّب من الاستحالة، حتى إذا كان الصمد سبحانه كان تجليه للإحساس مستحيلاً، ولكنه يدرك بالعقول من خلال آثاره في خلقه، وتلك هي معرفة الله تعالى تبدأ من صمديته في تركيب كونه وأجزاء خلقه.

٢- الوجدانية في الاستطالة: التفرد بالملك، والهيمنة بسلطان القوة والعظمة "سبحانه وتعالى":

يتجلى الموجود للحواس كلما كان صغيراً مقدوراً عليه محدوداً لا سلطان له؛ حيث هذه الصفات وغيرها من صفات التبعية تجعله متحركاً بسلطان غيره، مسخراً لقدرة من هو أقدر منه، فالإحساس كما قلنا هو أصلاً يعتمد التغير والتبدل.. أما إذا كان الموجود يتمتع بالاستطالة؛ أي أنه مهيم بسلطان ما؛ فإن تجليه يكون صعباً بمقدار هيمنة سلطانه في وجوده.

مثال ذلك: استطالة النوم على النائم؛ فإن تجلي الحال للنائم أنه نائم صعب جداً، ولذلك تجده إن رأى في نومه مثلاً رؤيا مخيفة فإنه يفعل ويخاف.. حتى إذا استيقظ وجد أن قلبه يخفق بشدة من الخوف وأن عرقه يتصبب، ولولا سلطان النوم عليه واستطالته على نفسه لتجلى له أنه مجرد حلم.

ومثال آخر: استطالة الرائحة أو العطر على حاسة الشم، فالشخص الذي يعيش في غرفة مثلاً لها رائحة مميزة فإنه إذا عايشها لمدة طويلة دون أن يخرج منها، فإنه لا يستجلي تلك الرائحة في حاسته مهما كانت قوية إلا أن يدخل عليه أحد فينبهه إليها أو أن يخرج هو ثم يعود للغرفة فيباشر التغير على حاسته فيحصل له التجلي.

ومثال ثالث: استطالة التقاليد والعادات على الإنسان قد تجعله يفعل أشياء لا يستجلي معانيها إلا إذا خرج من استطالة تلك العادات والتقاليد .

ومثال رابع: استطالة الحب، أو استطالة الغضب، تعمي العيون وتُصم الآذان وكل الحواس عن استجلاء الموجودات بما يناسب تلك الاستطالة، فلا يستجلي المحب أو الساخط شيئاً من الحقائق الموجودة حتى ليقول الشاعر:

وعين الرضى عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدي المساويا

فتجلي الموجود إذن رهن عدم استطالته، أما إذا كان له حظ من الاستطالة والهيمنة بسلطان ما على النفس، فإن حظه من عدم التجلي يساوي حظه من الاستطالة.. وهكذا كلما امتدت استطالته استحال على التجلي للحس.

على هذا فكيف إذن بالله سبحانه وتعالى المهيمن بالسلطان الذي لا يقهر!!  
يقول الإمام علي " عليه السلام ": "كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به" ٤٤".  
وبهذا يكون تجليه سبحانه وتعالى مستحيلاً، مثلما يكون جلاؤه أوضح من فلق الصباح، فسبحان "المتجلي  
لخلقه بخلقه والظاهر لقلوبهم بحجته" ٤٥".  
٣- الوجدانية في الاستدامة "الدائم في وحدانيته":  
قال أمير المؤمنين " عليه السلام ":  
"الحمد لله الأول فلا شيء قبله ٤٦ والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه"  
٤٧".  
هذا تعبير عن صدق الديمومة وثباتها لله تعالى، والذي يعبر عنه " عليه السلام " في مكان آخر بقوله: "تبارك  
الله الذي لا يبلغه بعد الهمم، ولا يناله حسن الفطن، الأول الذي لا غاية له فينتهي، ولا آخر له فينقضي"  
٤٨".  
وفي نفس المعنى يقول " عليه السلام ": "الأول قبل كل أول، والآخر بعد كل آخر، بأوليته وجب أن لا أول  
له، وبآخريته وجب أن لا آخر له" ٤٩".  
وفي بيان أوضح يقول الإمام " عليه السلام " في معنى ديمومته سبحانه:  
"ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل" ٥٠".  
ويقول " عليه السلام " في هذا المعنى:  
"واحد لا بعدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد، تتلقاه الأذهان لا بمشاعره، وتشهد له المرئي لا بمحاضرة، لم  
تخط به الأوهام، بل تجلّى لها بها، وبها امتنع منها، وإليها حاكمها" ٥١".  
ونحن نجد على صعيد الواقع أن الموجود كلما اكتسب من عناصر الاستدامة في وجوده، كلما صعب تجليه،  
وكلما كانت استدامته جزئية كلما كان تجليه ممكناً؛ في حين يكون الموجود السريع التغير، شديد التجلي  
واضحاً للحواس، بل يجذب الحواس جذباً.  
مثال: وجود مصباح مستديم في إضاءته، وآخر يشتعل ثم ينطفئ بالتناوب، فإن الذي يلفت الإحساس بالنظر  
لوجوده هو المصباح الذي لا يتمتع بالاستدامة في إضاءته؛ أما المستديم الإضاءة فإنه لا يلفت النظر كثيراً.  
ولذا فإنه لهذا السبب توضع في الأماكن العالية والأبراج مصابيح تضيء وتتطفئ لتجلب النظر أثناء الليل  
للطيارين تحذيراً لهم من الارتطام.  
ومثال آخر: الجاذبية الأرضية بما لها من عناصر الاستدامة على جسم الإنسان، فإنه يكاد يتجاهلها.

إن وجود الجاذبية أقوى من وجود الإنسان وأدوم، ولكنه بسبب حيازته لعناصر من الاستطالة والديمومة يصعب جداً على الإنسان الإحساس بها، وإن كان له حظ من العلم فإنه يدركها ولا يحسها، لأنه يلاحظ تأثيرها غير المباشر من خلال حركة الأجسام وسقوطها، وقد يحصل أنه بحساب درجات السلم وهو يصعد يعطي قوة إضافية لقدمه، فيضحك لأنه يعلل ذلك بخطئه، وليس لاستدامة الجاذبية عليه، وعندما يهرم أو يمرض ويتحتم عليه صعود سلم يحس بتجلي الجاذبية.

إن الإنسان بل والكون كله يعيش في بحر مستديم من الجاذبية لكن لا تجلي لهذا المحيط المذهل، ويكلفنا مئات الأطنان يومياً وفي كل لحظة دون أن نشعر به، بل إن رواد الفضاء يتدربون على الحركة في أجواء من انعدام الجاذبية كي يتعلموا كيف يتصرفون، فرب حركة إعتادها في جو استدامة الجاذبية تقفده يده أو رجله أو تكلفه كثيراً.

والجاذبية مخلوق موجود باستدامة جزئية يصعب تجليها للحواس، فكيف يتجلى المستديم المطلق!! الذي يقول عنه الإمام " عليه السلام: "الدائم بلا أمد".

فسبحانه الجلي الذي لا يتجلى والدائم الذي لا غاية له فينتهي ولا آخر له فينقضي.

٤- الوجدانية في الثبات:

الثبات يعبر عنه أمير المؤمنين " عليه السلام" إذ يقول: "الحمد لله الذي لم يسبق له حالٌ حالاً... " ٥٢"، فالثبات هو الاستقرار دون الجمود، وهو في الموجودات حالة عدم تغير الطور الوجودي لها مع الزمن، وهناك من الموجودات ما يتمتع بالثبات الجزئي في هذا المعنى، فالموجود إذا لم يتغير طوره، يصعب تجليه للحواس لدرجة الاستحالة.

والطور هو النمط الوجودي للمخلوق، كأن يكون محض طاقة، فالطاقة الكامنة مثلاً وجود لا يتجلى مع أنه كائن في كل جسم.. أو يكون إشعاعاً لموجة كهرومغناطيسية، أو يكون لوناً أحادياً - أي غير متحد مع جسم - أو محض سائل لا يتحول إلى صلب أو غاز، أو غازاً مطلقاً لا يتحول إلى سائل أو صلب، أو مثل حالة البلازما، حيث تتمتع بشكل ثابت وحجم متغير.

إن تمتع الموجود بالثبات الجزئي يجعل من الصعب تجليه للحواس، فكيف بالله سبحانه وتعالى الذي يصف الإمام علي " عليه السلام" ثباته المطلق بقوله: "الذي لا يشغله شأن ولا يغيره فان، ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان" ٥٣.

ويقول " عليه السلام" في معنى ثباته في مكان آخر: "الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده" ٥٤.

ويصف " عليه السلام" ثبات الله تعالى بقوله: " واحد لا بعدد" ٥٥. أو بقوله " عليه السلام": "الأحد لا بتأويل عدد".

لأن التعدد خروج على الطور فلا ثبات.

مثال: من الثابتات الجزئية من الموجودات الضغط الجوي: وهو قوة تسلط على السنتيمتر المربع الواحد ثقلًا يساوي عموداً من الزئبق طوله ٧٦سم زئبق عند سطح البحر.

والآن لو قلت لأي شخص أنك تحمل على جسمك حوالي ٦ أطنان فعلية من موجود اسمه الضغط الجوي، فإن كان من أهل العلم فإنه يصدقني ولكن لا بحواسه بل بعلمه، أما إذا لم يكن من أهل العلم، فلا يصدقني. والسبب: هو أن الضغط الجوي من الثوابت، وهو الذي يولد به الإنسان ويعيش حتى ينتهي أجله، نعم قد يتغير عند الناس الذين يغوصون إلى أعماق سحيقة في البحر أو عند الطيارين الذين يجازفون بارتفاعات هائلة، ولذا فهذا التغير يصير مبعثاً للإحساس بالضغط الجوي كوجود حقيقي عند هؤلاء المجازفين فقط.

والضغط الجوي موجود ذو ثبات جزئي، فكيف بالمثل في ثباته سبحانه؟ هل يمكن تجليه؟!.

"سبحان الرادع أناسي الأبصار عن أن تتاله أو تدركه" ٥٦.

وأناسي الأبصار هو البؤبؤ ربما عظمتها مع صغرها نسبة إلى عظمة الله وهو الكبير المتعال.  
٥- الوجدانية في السعة:

السعة هي الكبر والامتداد في أبعاد الموجود الوجدانية، فكلما كبرت وامتدت أبعاد الموجود في وجوده كلما صار ممتعاً على الحواس أن تستجليه.

مثال ذلك كبر سعة الموجة الصوتية كلما ابتعدت عن مصدرها لا يعدم وجودها ولكن يعدم تجليها للسامعة.

مثال آخر اتساع وجود الجاذبية على الأرض يعدم تجليها، وكذا اتساع وجود الضغط الجوي في محيط الأرض يعدم تجليه للحواس.

وعلى العموم فمن الواضح أن الاتساع في كل شيء يتنافى مع محدودية الحواس في قدراتها على الإحاطة بالمحسوس.

والله سبحانه وتعالى كما يقول الإمام " عليه السلام": "لا يشمل بحد ولا يحسب بعد، وإنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، منعتها منه القدمية، وحمتها عنه الأزلية، وجنبتها لولا التكملة، بها تجلى صانعها للعقول، وبها امتنع عن نظر العيون، لا يجري عليه السكون والحركة... " ٥٧.

إنه سبحانه وتعالى وسع برحمته وعلمه وسلطانه كل شيء فلا حدود لسعته، وإذا كانت الحواس قاصرة عن استجلاء مخلوقاته لسعته فكيف تدركه وتحيط به!!.

#### ٦- الوجدانية في الإحاطة:

الإحاطة: هي شمول الموجود بوجوده لموجودات أخرى.. وكلما كان الموجود محيطاً كلما صعب تجليه. فمثلاً إحاطة الماء بحياة الأحياء المائية، فالسمكة لا تدرك أنها في الماء، حتى إذا خرجت منه بقيت تدير حركاتها وكأنها لا زالت في الماء..

وإحاطة الهواء بنا تجعلنا لا نستجلي حقيقة ما نحمل من قوته على أجسامنا.. وإحاطة قوة الجذب الشاقولي لمركز الأرض بنا بعدم، والماء والهواء والجاذبية، بل والكون كله، هي موجودات إحاطتها جزئية، ومع هذا يصعب تجليها، فكيف بالمحيط المطلق!!

سبحان الله الذي لم يتجلّ مع جلّائه وبيان آياته.

هذه هي موجبات عدم التجلي في واقعها، وخارج وجود الإنسان وطبيعة معرفته وتعلمه، باعتبار أن العلم - كما قدمنا - ناتج المطابقة بين السنن التكوينية في نفس الإنسان مع السنن الأم من الكون، فإذا كانت المطابقة جزئية، كذلك تكون معرفته جزئية، وتكون المعرفة تامة بتمام المطابقة، وهي التجلي عند السعي بالحواس أو الجلاء عند السعي بأنماط التعلم.

وإن موجبات عدم التجلي هذه لا تعني شيئاً أمام قدرة الله تعالى بعيداً عن حقائق المعرفة في الوجود الكلي والموجودات، وإن عدم تجليه هو من فصول سنة رحمته الواسعة التي كتبها على نفسه، فإن شاء الله تعالى

التجلي فلا شيء في الوجود يقوم لتجليه، ويبدو ذلك واضحاً من طلب موسى " عليه السلام " رؤية ربه:

قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" ٥٨.

وهذا بيان واضح للرحمة الواسعة، والحكمة والتدبير الحسن، في التعليق على المحال بين استقرار الكون وبين تجلي الخالق لخلقه

## المصادر

### القران الكريم

- اصول الكافي : ثقة الاسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت محمد جواد مغنية ، ط٢ ، دار الاضواء ، بيروت ، لبنان، ٢٠١٠ ،  
اخرجه في الكافي ٣، ١، ح ٣ ، ح ٢٥ .
- الامالي : محمد بن الحسين بن علي الطوسي ، ط١ ، دار احياء التراث العربي، للطباعة والنشر ، ١٤٣٠، ٢٠٠٩ م .
- بحار الانواء الجامعة لدار اخبار الائمة الاطهار ( عليهم السلام ) : ١٠٦/٥٧ و ٩٠، ٧٧، ٣١٥، ١٧ / محمد باقر المجلسي ت  
١١١٠ ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي .
- بهج الباغة في شرح نهج البلاغة ( ٤/١٥ ) ( ٣٦، ٣٥، ٣٦ ) : محمد تقي التستري ، ط١ مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر ،  
بيروت لبنان ، ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م .
- التوحيد : ح ١ ، ح ١٣، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، ت السيد هاشم الحسيني الطهراني ، طبع ونشر  
مؤسسة النشر الاسلامي ، ط١٠، ١٤٣٠ هـ .
- الدر النثور في التفسير بالماثور : جلال الدين عبد الرحمن بن بكر السويطي ، ط٣ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ٤ ،  
١٥٣ .
- خائر العقبى في مناقب ابي القري : محمد الدين احمد بن عبد الله الطبري ، ط١، مطبعة ستارة ، وسامي الغريدي الغراوي ، ١٤٣٠  
م . ٢٠٠٩ م .
- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الايات النازة في اهل البيت ( عليهم السلام ) .وعبيد الله بن احمد المعروف بالحاكم الحسكاني ،  
ت محمد باقر المحمودي ط ٣ ، مطبعة باسداء سلام النشر مجمع احياء الثقافة الاسلامية ، في شواهد التنزيل ١ : ٢٢٧ .
- الصدوع في ماليه : ١٧٩ ح ٥ المجلس (٣٨)
- الفصول لمهمة في الصول الائمة - الحر العاملي ( ٣٠١/١ )
- الكتاب المقرر في الفيزياء للصف الخامس الاعدادي ، ( موضوع الصوت )
- كنز العمل في سن الاقوال والافعال : علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري  
والمدني فلمكي الشهير بالمتقي الهندي ( المتوفي ٩٥٧هـ ) و (المحقق : بكري - صفوة السقا الناشر : مؤسسة الرسالة للطباعة : ط٥  
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م منتخب كنز العمال ٥، ٣٥ .
- العجم الكبير : اب القاسم سليمان بن احمد الطبراني ٣٦٠ هـ ، ط١، مكتبة الاصاله والتراث للنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، ١٤٣١ هـ .
- نهج البلاغة : الامام بن ابي طالب ، بشرح محمد عبده ، ج١، طبعة بيروت ، ١٨٨٥ م ..
- يانبع المودة : سليمان ، الحسن بن البخاري القندوزي، صححه وقدم له علاء الدين الاعلمي ، ط١، دار الاعلمي بيروت ، ١٩٩٧ م
- Mc Graw – Hill "Encyclopedia Of Science And Technology V.12 P72 "

- ١ ( الحديث مشهور رواه ابن عساكر و ابن الجوزي ، و الطبراني في معجمه الكبير عنهم منتخب كنز العمال ٥ : ٣٥ ، و الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٢٢٧ ، و الصدوق في أماليه : ١٧٩ ح ٥ المجلس ( ٣٨ ) ، و الخوارزمي في المناقب : ٢٢٩ ، و المحب الطبري في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودة : ٢٠٧ ، و الحسن بن سليمان في المختصر عنه البحار ٢٧ : ١١ ح ٢٦ ، و رواه أيضا غير هؤلاء بطرق متعددة عنه و عن علي عليه السلام و أبي ذر و جابر بن عبد الله و ابن عباس و أنس و أبي هريرة ، و رواه أيضا عن أبي الحمراء ابن قانع و الطبراني و ابن مردويه إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و آله عنهم الذر المنثور ٤ : ١٥٣ .
- ٢ ( الروم - ٣٠ .
- ٣ " الحديث مشهور رواه ابن عساكر و ابن الجوزي ، و الطبراني في معجمه الكبير عنهم منتخب كنز العمال ٥ : ٣٥ ، و الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٢٢٧ ، و الصدوق في أماليه : ١٧٩ ح ٥ المجلس " ٣٨ " ، و الخوارزمي في المناقب : ٢٢٩ ، و المحب الطبري في ذخائر العقبى عنه ينابيع المودة : ٢٠٧ ، و الحسن بن سليمان في المختصر عنه البحار ٢٧ : ١١ ح ٢٦ ، و رواه أيضا غير هؤلاء بطرق متعددة عنه و عن علي عليه السلام و أبي ذر و جابر بن عبد الله و ابن عباس و أنس و أبي هريرة ، و رواه أيضا عن أبي الحمراء ابن قانع و الطبراني و ابن مردويه إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و آله عنهم الذر المنثور ٤ : ١٥٣ .
- ٤ " مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - " ج ١ / ص ١٦٦
- ٥ " سورة طه - ٥ .
- ٦ محمد تقي التستري ، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة " ١٥ / ٤ " ، والحديث أخرجه الكليني في الكافي ١ : ١٠٠ ح ٣ ، و الصدوق في التوحيد : ١١٣ ح ١٣ ضمن حديث طويل ، و أخرج معناه أيضا الكليني في الكافي ١ : ١٠٦ ح ٨ ، و الصدوق في التوحيد : ١٧ ح ١ .
- ٧ " نهج البلاغة " الخطبة ١٨٤ ، ص : ٣٤٣
- ٨ " أخرجه الكليني في الكافي ٣ : ٢٥٦ ح ٢٥ ، و أحمد بن محمد بن عيسى في النوادر عنه البحار ٦ : ٣٢٩ ح ١٤ .
- ٩ " غافر / ١٦
- ١٠ " بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة " ٣٦ / ٣٥ - ٣٦ . الفصول المهمة في أصول الأئمة - الحر العاملي " ١ / ٣٠١
- ١١ " الروم - ٣٠ .
- ١٢ " سنن الله تعالى في خلقه لا تتبدل ولا تتغير .. قال تعالى : "سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا" (الاحزاب - ٢٣) .
- ١٣ " قال الله تعالى : "وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ" (الحاقة - ١٧) .
- ١٤ " يونس - ٣ .
- ١٥ النمط : حركة منتظمة متكررة بين ثابتين . بين قبضين او بين بسطين فالنمط الواحد يقع في طورين بسط وقبض ، فمحتواه بين قبضين .

او النمط هو : الحركة المنتظمة المتكررة للشيء بين القوة والفعل .

او هو؛ حركة بسط الشيء بين قبضين..، وهكذا تكون دورة العام بين الشتاء والصيف، او بين الربيع والخريف؛ نمط . ودورة اليوم بين النهار والليل؛ نمط . ودورة النبات بين البذرة والشجرة نمط. ودورة الحيوان بين البيضة والداب؛ نمط....وهكذا هو الكون؛ نسق من حركة الأنماط، المتتالية المترابطة المتميزة، ولو لا تلك الأنماط فلا معرفة ولا شيء يعرف على الإطلاق.

- ١٦ " الحاقة - ١٧ .
- ١٧ " الروم - ٣٠ .
- ١٨ " الرعد - ٣٣ .
- ١٩ " الروم - ٣٠ .
- ٢٠ " الحاقة - ١٧ .
- ٢١ " الاعراف - ٥٤ .
- ٢٢ " يونس - ٣ .
- ٢٣ " الرعد - ٢ .
- ٢٤ " الفرقان - ٥٩ .
- ٢٥ " السجدة - ٤ .
- ٢٦ " الحديد - ٤ .
- ٢٧ " مصباح الشريعة: المنسوب للامام الصادق عليه السلام، باب ١ "في حقيقة العبودية"، ص: ٥٣٦
- ٢٨ " الاعراف - ١٥٩ .
- ٢٩ " الاعراف - ١٨١ .
- ٣٠ " يونس - ٣٢ .
- ٣١ " نهج البلاغة بشرح محمد عبده الجزء الأول ص ١٦٠ .
- ٣٢ " الأنعام: ٧٥-٧٩ .
- ٣٣ " الأنعام: ٧٩-٨٣ .
- ٣٤ " نهج البلاغة "محمد عبده" ج ١ ص ١٥٨ .
- ٣٥ " نهج البلاغة "محمد عبده" ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ .
- ٣٦ " نهج البلاغة "محمد عبده" ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ .
- ٣٧ " Mc Graw – Hiil "Encyclopedia Of Science And Technology V.12 P72 .
- ٣٨ " الكتاب المقرر في الفيزياء للصف الخامس الإعدادي "موضوع الصوت".
- ٣٩ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الثاني ص: ٩٩ - ١٠٠ .
- ٤٠ " نهج البلاغة ١: ١٠٧ | الخطبة : ٦٥ . و بحار الأنوار : ٣٧/٣٠٨/٤ .
- ٤١ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الثاني ص: ١١٩ .
- ٤٢ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص- ١٥ .
- ٤٣ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص ٢٠٩ .

- ٤٤ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص٢٠٦.
- ٤٥ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص١٨٦.
- ٤٧ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص ١٨٤.
- ٤٨ "نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الأول ص١٩٤.
- ٤٩ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الثاني ص٦٥.
- ٥٠ " نهج البلاغة "محمد عبده" الجزء الثاني ص١١٥.
- ٥١ " نهج البلاغة "محمد عبده" ج ١ ص١١٢.
- ٥٢ " نفس المصدر ج ٢ ص١١٥.
- ٥٣ " نفس المصدر ج ٢ ص٩٧.
- ٥٤ " نفس المصدر ج ٢ ص ٤٠.
- ٥٥ " نهج البلاغة ج ١ ص١٦١.
- ٥٦ " نهج البلاغة: الخطبة ٩١ عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق "عليه السلام" ، بحار الأنوار: ٩٠/١٠٦/٥٧ وج
- ١٧/٣١٥/٧٧.
- ٥٧ " نهج البلاغة: الخطبة ١٨٦، الاحتجاج: ٤٧٦/١ و ١١٦/٤٧٧.
- ٥٨ "الأعراف: ١٤٣"